

«فستيفار» مسرح تونسي يعيد الأمل إلى الأحياء المنسية

مسرحيون يواجهون تجاهل المؤسسات الرسمية ويتحدون التهميش بالفن

«لا يكفي أن يسمع المتفرج كيف تحرر بروميثيوس، بل يجب أن يتدرب على التحرر والغبطة بهذا التحرر، يجب أن نعلمه في مسرحنا بفرحة المخترع ويكل النصر الذي يشعره الفائز على الطغيان»، هكذا قال المسرحي الألماني برتولد بريخت، مقولة كانت رهانا لبعض الفعاليات المسرحية الخاصة التي بدأت في الظهور في أماكن غير اعتيادية في تونس.



سهام عقيل
كاتبة ومسرحية تونسية

نار بروميثيوس. قنواتي، وهو مسرحي برتبة ساحر، كل ما من بالركح إلا وأنهل الجميع ميكانيزمات التمثيل الحي والحقيقي ضد الكذب الصادق، تمكن من فك شيفرات المنظومة التمثيلية ليقتنص ذاكرتها، التي هي ذاكرته وذاكرة مدينته، لا يقاوض الفنان الصدق المسرحي، ولا يغادر الممثل الذي يحتويه، بالوانه الحقيقية ففي كل شخصية مسرحية قدمها إلا ويقدم وجعه الحقيقي بجروحه ودمائه ودموعه.

يعيش الفضاء العمومي الرسمي للدولة التونسية على بحث منشأة ثقافية كبيرة تسمى «مدينة الثقافة» لتكون وجهة الحالة الثقافية الرسمية، كما يعيش هذا الإغتراب المسرحي الثقافي التونسي اليوم بعد الثورة، عملية دحر لكل ما هو مختلف لتعتبره الوجهة الرسمية «الخطأ».

نعيش اليوم على وقع صراخ جيل الخطأ والغضب، لأنه جيل تمعن جيدا في النفس الحر تحت وطأة القمع المتجدد.

باتي فضاء «فستيفار» ليجدد الموعد مع عمران المدينة الرسمي ليقتضه وبواجهه بقوة ضد الرجعية العمرانية التي رسخت الوهن والفقر في هذه الأحياء، وتير علنا عدم استحقاتها لهوية مسرحية تؤسس لقيم التحرر الكونية. حيث تقرر افتتاح الفضاء المسرحي الجديد بالتزامن مع اليوم العالمي للمسرح الذي يوافق 27 مارس من كل عام.

يتبنى قنواتي صحة الفطناسي يقينا ثابتا بضرورة التغيير والمقاومة ضد الأسوأ والانحطاط، فالوعي المسرحي - السياسي الذي يحمله مشروع هذا الفضاء هو تشييد لخارطة مسرحية تنهل من الذاكرة الحقيقية لأوطان الهامش ضد البؤس الذي كرسه المؤسسات الرسمية.

ويأتي الفضاء تأكيداً للمسار المسرحي للفنانين، الذي يرفض الوهل الثقافي، وترفض الواجهة الرسمية التلفزيونية تصوراتها للفن كفضاء مقاومة، بل نشأة هذا الفضاء المسرحي هي ردة فعل غاضبة عما يقدم للذهن التونسي اليوم من بلاء حقيقية تضرر السياسي.

أمام جبروت الآلة المعتمدة على خطاب التفاهة، يكون التأسيس هو المعول الحقيقي داخل نسق المقاومة النضالية، فإيمان قنواتي والفطناسي

في ضواحي مدينة تونس العاصمة، وتحديدا في منطقة «سيدي حسين السيجومي»، تحتفي هذه الضاحية المقصية عن التاريخ الرسمي بولادة فضاء مسرحي يؤسس المسرحي التونسي ناجي قنواتي صحبة رفيق طريقه الفني والوجداني ياسين الفطناسي تحت اسم «فستيفار».

عودتنا أجهزة الدولة الرسمية بالنسيان، فالمتنصر لحالة الوهن الفكري في التركيبة العمرانية للمدن التونسية المحيطة بالعاصمة والبعيدة عن دائرة الفعل، يكتشف هول من يعيش من ثمار الدولة الرسمية، التي همشت أطرها وجعلتها تقنات من قشها المبتوث على الطريق. والذي حتى هو لم يعد متاحا.

ضد الاحتقار الرسمي

عودتنا الدولة الرسمية طيلة عقود مرحلة الاستعمار إلى ما بعد الاستعمار بمبدأ واحد سماه الشهيد شكري بلعيد «الحقرة» (أي الاحتقار)، وهو مفهوم تونسي أصيل اللهجة والروح.

نشأة هذا الفضاء المسرحي هي ردة فعل على ما يقدم للذهن التونسي اليوم من بلاء وتهميش واحتقار للشعب

نرى المسرح البلدي المترعب في الشارع الرئيسي للعاصمة على ملك بلدية تونس حركا على العروض الثقافية التي تهدف إلى النسيان، يحتكره من يقنات من أفكار الأنظمة التي مرت، رغم أن المسرح البلدي شهد صراخ الشعب أمامه، لكن صدى الصراخ لم يجد مكانه بين جدران هذا المسرح الرسمي، فقرر فنانان الانفتاح على أماكن جديدة بروح جديدة.

في سيدي حسين السيجومي، قرر قنواتي قرارا خطيرا، بأن يبرر انتماءه التاريخي لجهته الخارجية على التاريخ الرسمي، فينشئ مسرحا وحيدا وحدة



المسرح فعل مقاومة وجودية

الفضاء المسرحي لبس لغته الخاصة بفن نبيل وكامل هو من أبجديات التحرر المستحق للأحرار. وفضاء «فستيفار» هو فضاء ضد هيكلية ومكونات الفضاء العام الرسمي، فستخسر الدولة الرسمية بنشأة هذا الفضاء المسرحي عملية بناء السجون الجديدة لأن هذا الفضاء سينشأ ضد ملح السبخة ليؤسس من جديد الزهور التي وعد بها الشهيد شكري بلعيد وهو ما تتفوق به ذاكرة المدينة المسرحية خارج التاريخ الرسمي.

رغم السقوط المدوي الذي تعيشه تونس اليوم، وخاصة بعد الوباء الذي كشف هزال الشبح الرسمي أمام الفايروس الخفي، فإن أصوات المقاومة الحقيقية والصادقة هي الوحيدة القادرة على رجة هذا الشبح الرسمي برسم طريق جديد بروح أخرى حتى تبرا المدينة ممن أضاعوا الطريق نحو فؤادها الحق، وتحاكم المدينة تاريخها الرسمي الذي نشأ على المقابر وأرواح الهائل من النسيان والبؤس ليرحوا بها في احتفالية مسرحية ديونيزية كاللحظة الأثينية الأولى.

وهنا ليرتبط بمن يريد أن يتكرر حياة جديدة لجهاز الدولة الظالمة. ويفتتح هذا الفضاء المسرحي الجهة الأخرى من النور، ليفتك شمسها الخاصة به فيسطلع نورها الحارق ضد تواطؤ الكل ضد منطقة «سيدي حسين» وبقايا جهات الخارطة التونسية.

اعترضني ناجي قنواتي يوما في الشارع الرئيسي قبل الثورة، ليخبرني وهو مذهول بأنه رأى شابا تونسيا مخمورا يسأله عن سفارة تونس الشقيقة في العاصمة التونسية، فذهل من سؤاله.

كيف يبحث مواطن تونسي في عاصمة بلاده عن تذكرة عبور لمدينته الغريبة عن حزنه؟ وتؤكد روح الممثل عند كل من قنواتي والفطناسي على جمال الدعاية والمتعة والمرح والمهجة، فهم يبشرون بفن مسرحي يشمل ولع الإنسان الأول بالحركة الصارخة وبالشعور الطيب، فمن يعرفهما جيدا، يعرف أنهما على خطى الشهداء السعداء.

داخل مفهوم الدولة الحديثة أي دولة ما بعد الاستعمار، نرى أن افتكك

والحقيقي لمنطقة أوحى لها التاريخ الرسمي بأن تكون محكومة بالظلم واليأس.

احتفالية ديونيزية

تحيط منطقة سيدي حسين «السبخة» وهي فضاء ليس بسياحي، كما كذب الفاعل السياسي الرسمي ووعد بتحويلها إلى قطب سياحي لافتكك

معاناة الهامش ليتحول من خلال الفعل المسرحي ذاته إلى فضاء يشمل مهجة تونس الحقيقية.

يعتقد المسرحيان في السحر الحقيقي، لأنهما استبشرا من خلال مواجهتهما الركحية لأبناء شعبيهم بأن الفن المسرحي لم يستقل يوما عن الدفاع عن الإنسان في إنسانيته وعن التونسي في تونسيته.

في حديث المسرحي الألماني برتولد بريخت عن حقيقة الصراع الطبقي يؤكد أن وجهة المسرح أمام المتفرج هي بداية حرض وجع هذا الصراع بغاية إلغائه حتى تتحقق المتعة لتصبح تحت طائلة المساواة الحقيقية للذة المسرحية كمبدأ كوني يجمع الإنسانية مثلما تجتمع العائلة على الموقد بغاية الدفاع.

وتحت هذه الرؤية سيعمر فضاء «فستيفار» في «سيدي حسين السيجومي» وسيبعث دفاه الخاص

«حكايتنا» مونولوجات مسرحية تفتح الطريق أمام المواهب الجديدة في سوريا



ريم الماغوط، فيما صمم الماكياج منور عقاد، وصمم الإعلان غيث مرزوقي، وقام بالإضاءة علاء الكيزاوي والتقنيات بسام حميدي والدراماتورج بزن السكري وكان مساعد المخرج عمر فياض وغيرهم من الفريق الشباني الذي عمل بجهد كبير لتقديم عمل مسرحي مختلف، هدفه نشر المسرح وتاطير المواهب.

المدمن بشكل لاس الجانب الإنساني، فأشار إلى أن الورشة قدمت له ولزملائه خبرة جديدة في التعامل مع صناعة الشخصية.

سلم الخطيب طالب سنة رابعة في كلية الهندسة المدنية رأى أن الورشة كانت منهجية وممتعة، وتكثرت بعرض مسرحي خرج بروح جماعية، وتحدث محمد مشناتي عن شخصية أبو الهادي تاجر العقارات التي لعبها، وعرض من خلال مونولوج تاريخ هذه الشخصية من سنن الطفولة وتعرضه للتعنيف الأسري مروراً بتركه منزل والده والعمل في المدينة.

المشارك حازم قريني الذي أدى شخصية الخياط سامر أبوخيوط سعى إلى أن يقدم لهذا الدور بعدين ظاهرا ومخفيا، ليرصد معاناة هذا الشاب في محاولته الحفاظ على محله وخاصة بعد تعرضه لاحتيايل من خطيبته.

حسين محمود اختار شخصية بائع جوال من بيئة ريفية يتظاهر بكونه مثقفا ليغطي الكثير من مشاكله ويرضى حلمه بأن يكون شاعرا، بينما ذكرت هالة الدين التي لعبت دور الممرضة الثائرة في العرض أن التجربة أتاحت لها الكثير من المعلومات حول الأداء المسرحي وحقق لها فائدة كبيرة.

ولفت يوسف عبيدي الذي قدم شخصية صياد السمك إلى أن الورشة أتاحت للمشاركين تقديم أفكارهم

الشباب ليلبوا طموحاتهم في الوقوف على الخشبة.

ريمي الجباعي التي لعبت دور الخادمة في العرض ووصفت التجربة بالممتعة والمفيدة بشكل أكاديمي، أما خالد حمزة، الذي لعب دور شخصية

بدوره أوضح الفنان إبراهيم عيسى، الأستاذ المساعد في الورشة، أن العمل مع الشباب فوق سن الـ 24 ليس سهلا، وخاصة أن أغلبهم خضعوا سابقا لورشات ودورات في إعداد الممثل، مبينا أن الورشة شكلت فرصة لهؤلاء



عرض ناتج عن ورشة تكوينية

دمشق - «حكايتنا» عنوان العرض المسرحي الذي احتضنته خشبة مسرح الحمراء بدمشق مؤخرا، وقدمه 13 شابا وشابة من الموهوبين بفن التمثيل، وجاء على شكل ارتجال جماعي.

العرض الذي قدمه كنتاج لورشة إعداد الممثل التي نظمتها مديرية المسارح والموسيقى في وزارة الثقافة السورية بإشراف المخرج مأمون الخطيب، امتد لأكثر من 90 دقيقة، وقدم من خلاله الممثلون عدة مونولوجات لشخصيات لعبوها كتشفت عوالمهم الداخلية وتاريخهم ضمن حكاية تجمعهم حول بيع بيت يسكنه عدد منهم.

وعن العرض والورشة التي امتدت لثلاثة أشهر، قال المخرج الخطيب في تصريح له «جاءت هذه الورشة لإتاحة الفرصة لهذه الفئة من الشباب التواقين للعمل في الفن ولم تتوفر لهم إمكانية الدراسة الأكاديمية للعمل على الشخصيات، حيث سعينا عبر الورشة إلى اختزال وتكثيف معلومات السنتين الأوليين في قسم التمثيل بالمعهد العالي للفنون المسرحية مع الشباب»، منوها بما امتلته الشباب المشارك من حرص في العمل متمنيا أن يستمر هذا التوجه من قبل وزارة الثقافة لإقامة ورشات عمل للهواة من الشباب.